

أما السمومل فهو ابن غريص بن عادباء اليهودى صاحب الحصن المعروف بالأبلى بتياء ، وبه يضرب المثل فى الوفاء ، لأنه أسلم ابنه ولم يخن أمانته فى دروع أودعها عنده امرؤ القيس لما صار إلى القسطنطينية يطلب معونة القيصر . والسمومل على النفس عزيزها ، ينظر إلى كل شىء من عل ، لا عن كبرياء عمياء ، ولا عن غرور صياني ، بل عن أنفة مكونة من عرض مصون ، وكرم أصل ، وتسام فى صفوف شبان قومه وكهولتهم ، وعزة جار ، ومنعة وشجاعة ، وسخاء يد ، وتاريخ مجد لا يعدله مجد . وشعر السمومل صورة لتلك النفس الرفيعة بما فيه من متانة فى الأسلوب والتركيب ، وما فيه من رصانة وجلال . قال مفتخرًا :

فكلُّ رداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلٌ	إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّومِ عِرْضُهُ
فليسَ إلى حُمنِ الثَّناءِ سَبِيلٌ	وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمًا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ	تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
شبابٌ تَسامى لِلدَّعَلَا وَكُهولٌ	وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلُنَا
عزيرٌ وجارٌ الأَكْثَرِينَ ذليلٌ	وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
مَنيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ	لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نَجِيرُهُ
إلى النَّجمِ فَرَعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلٌ	رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ
إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ	وَإِنَّا لِقَوْمٌ مَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً
وَتَكَرَّهَهُ أَجَالُهُمْ فَتَطُولُ	يَقْرَبُ حُبُّ الْمَوْتِ أَجَالَنَا لَنَا
وَلَا طُلٌّ مِنَّا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ	وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفِيهِ
وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الطُّبَاتِ تَسِيلٌ	تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الطُّبَاتِ نَفُوسُنَا
إِنَاثٌ أَطَابَتْ حَمَلَنَا وَقُحُولٌ	صَفُونَا قَلَمٌ نَكَدَرُ وَأَخْلَصَ سِرْنَا